المنار
١٣١٥

فتح عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب

يصدر في اول كل شهر قمري

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق)

(مصر في يوم الاربعاء ٢١ رجب سنة ١٣١٨ — ١٤ نوفمبر (ت٢) سنة ١٩٠٠)

الحكومة الاستبدادية

« تتمة مقالة السيد جمال الدين الافغاني تغمده الله برحمته »

(القسم الثالث) الحكومة الرحيمة وهي تنقسم الى قسمين القسم الاول منها الحكومة الجاهلة ودعائم هذه الحكومة تحاكي الأب الرحيم الجاهل فكما انه يحث ابناءه على اقتناء الاموال واكتساب الثروة واستحصال السعادة والاقتصاد في المعيشة بدون ان يبين طرقها ويمهد لهم سبلها لعدم علمه بها . ويدعوهم رأفة الى المجاملة والمودعة ورفع الشقاق والنزاع من بينهم بغير ان يحدد لهم الواجبات ويقدر الحدود اللازمة للادارة المنزلية لقصور ادراكه عنها فكأنه يدعوهم الى امر مجهول مطلق لا يهتدون اليه سبيلا

كذلك حال هؤلاء الدعائم الرحماء الجهلاء يطلبون من رعاياهم السعي في المكاسب والصنائع والتمسك بالتجارة والفلاحة والتشبث بالعلوم والمعارف ويغرونهم على مجاراة الجيران ومباراة اهل العرفان والتخلق

باسباب النجاح والفلاح بلا تشييد المدارس المفيدة وتأسيس المكاتب النافعة وتسهيل طرق المعاملات وبث فنون الزراعة جهلاً منهم ويريدون من اولئك الرعايا التباعد عن الشقاق والنفاق والاحتراز عن الاعتداء والاغتصاب والتجنب عن الفساد والمناد والحيف والميل فى الحقوق والاحتراس عن كل مايخل بالراحة العمومية بلا تقنين ناموس عادل حافظ للحقوق معين للحدود فاصل للقضايا قاطع لما يطرأ من النوازل جامع لجميع ما يحتاج اليه الانسان فى اجتماعاته المدنية . ومن افراد هذه الحكومة سلطنة بعض السلاطين المجبولين على الشفقة المطبوعين على الرأفة الذين كانوا يبكون على سوء احوال رعيتهم مع جهلهم بما يصلح شأنها والسيَر بذلك ناطقة

القسم الثانى منها الحكومة العالمة وهى تنقسم الى قسمين . القسم الاول الحكومة الأفينة وأقانيمها تضاهى الاب العالم المألفون فكما ان شفقة هذا الاب تسوقه الى العناية باحوال ابنائه وتقسره عليها وان علمه باسباب الترف والثروة وعلل المعيشة الهنيئة المرضية يقوده الى الاهتمام بتأديبهم باحسن الآداب وتعليمهم الفنون وتمرينهم على الحرف ويجبره على ان يبين لهم قوانين العشرة ويحدد لهم حقوقهم ولكن بعد ذلك يتركهم وشأنهم لضعف رأيه وقصر نظره وجهله بأن ملازمة الشبان للآداب واجتنابهم ثمار معارفهم التى اكتسبوها واجتهادهم فى المكاسب لا تكون الا بقوة حافظة ما لم تحنكهم التجارب لما جبلوا عليه من الميل الى الشهوات والانعكاف على البطالة والتقاعد عن الفضائل فيهوون فى هاوية التعاسة وتذهب مساعيه سدى

كذلك هؤلاء الاقانيم يعمرون بيوت العلم ويشيدون دور المعارف وينشئون المعامل ويوسعون نطاق التجارة ويواظبون على تشريع سياسة مدنية تثبيتاً للحقوق واستتباباً للراحة على مقتضى ما احاطوا به من احوال رعاياهم ولكنهم لعدم تدبرهم فى العواقب وعدم تبصرهم بأن افتقار انتظام احوال العباد وسير امورهم على نهج العدل ونيلهم غاية بغيتهم من مساعيهم الى العلة المبقية كافتقارهم الى العلة الموجدة لا يواظبون على اعمالهم هذه ولا ينظرون اليها نظرة ثانية بل ينبذونها ظهرياً ويتركونها نسياً منسياً فيتطرق اليها الخلل ويعتريها الفساد ويسرى اليها الانحلال لما جبل عليه الانسان من الحرص والشره والميل الى الجور والاعتداء المستلزمة لمخالفة القانون فيقع كل فى المطب والنصب والشقاء والعناء ويستولى عليهم الفقر والفاقة ويصيرون كارض موظوبة [1] بتوالى تطاول ايدى جائريهم وتعاقب اعتساف معتديهم ويشبه ان تكون حكومة المأمون وبعض سلاجقة ايران من افراد هذا القسم

القسم الثانى الحكومة المتنظمة واساطينها الحكماء تضارع الأب المتدبر المتبصر الذى لا يبرح ساعياً فى اعداد الاسباب الموجبة لسعادة أبنائه زمن حياتهم وتهيئة معداتها القريبة والبعيدة ولا يتجافى آناً ما عن مواظبة دقائق حركاتهم وسكناتهم وتفقد شونهم واستكناه احوالهم ولا يتقاعد لمحة عن تأييدهم فى سيرهم بآرائه السديدة وافكاره الصائبة خوفاً من التوانى والكسل والاهمال والفشل وخشية من عروض الموانع التى تصدهم عن البلوغ للغاية

(٢) هى التى رعيت مراراً حتى لم يبق فيها كلأ ولا نبات

فنجد هؤلاء الملكاء الاساطين يعلمون ان قوام المملكة وحياة الرعايا بالزراعة والصناعة والتجارة ويعرفون ان كمال هذه الامور واتقانها لا يكونان الا بامرين احدهما وهو في الواقع علتهما الاولى العلوم الحقيقية النافعة والفنون المفيدة التي لا يمكن حصولها والفوز بها الا بمدارس منتظمة ومدرسين ماهرين ومتخلقين باخلاق فاضلة شفوقين على المتعلمين شفقتهم على ابنائهم . وثانيهما اعداد آلات الزراعة وادوات الصناعة وتسهيل طرق التجارة البرية والبحرية . ويفقهون ان حفظ اساس المدنية وصون نظام المعاملات وفصل المنازعات وكف أيدي المتعدين ومنع المدلسين وكبح الاشرار وردع الفجار لا يكون الا بالمحاكم الشرعية والسياسية المؤسسة على دعائم العدل والانصاف وانها لا تحقق الا بقانون حق لا يغادر صغيرة ولا كبيرة — حتى ارش الخدش — الا محفوظاً بأمناء يقظين محروساً بعدول نشطين محفوظاً بعلماء فقهين معززاً بقضاة مقسطين مؤيداً بحكام اعفاء واعوان برزة . ويدركون بصيرتهم الوقادة مصالح العباد . ومناهج تعمير البلاد . ووسائل درء المفاسد الداخلية . وطرق منع النوازل الخارجية . وان القيام بذلك لا يكون الا بضرب ضرائب عادلة عليهم يجمعها جباة عدول تصرف في منافعهم العامة لدى الضرورة بلا حيف وميل وانتخاب طائفة من ابطالهم الموصوفين بالصداقة وعزة النفس وعلو الهمة لحفظ الامنية الداخلية ودفع الاعداء الخارجية . ويشعرون بان استكمال سعادة المملكة وصيانة استقلالها لا يكونان الا بارتباطاتها السياسية وعلائقها التجارية مع الممالك الاخرى وانها لا تتم الا برجال عارفين دهاة متبصرين معينين لاوطانهم (لا كمن افندى فهمى شيخ الاسلام الأسبق

فى الاستانة الذى كان يقول لمدوحه الجنرال اغناتيف سفير الروسية فيها انك عينى اليمنى وان حيدر ابنى عينى اليسرى كما ذكره حضرة مدحت افندى فى كتابه المسمى بأس الانقلاب) متدربين محنكين بالسياسة عالمين بالحوادث قبل ظهورها محيطين بطرق التجارة فيقومون بواجبات ما اقتضته حكمتهم وما احاطوا به علماً ولا يتهاونون آناً ما عن ادآء حقوق رعاياهم ولا يفتدون راحة انفسهم بسعادة اولئك الضعفآء . وزد على ذلك انهم يدرون ان غالب افراد الانسان طبع على الحرص وفطر على الشر وجبل على الشهوة وخلق متهاوناً بواجباته متوانياً عن اصلاح شؤنه ونشأ على المكر والحيل وغرز فيه حبُّ الاعتداء على حقوق الغير وعدم الاكتفآء بما ملكته يداه وغرس فيه بغضُ الشرائع والقوانين حيثما يراها سدّاً عنعه من سلوك سبيل التغلب وحاجزاً يردعه عن مقتضيات الشره وغُلاًّ يكف يديه عن التطاول . وانهم يفهمون ان كل ما يقع فى العالم الانسانى من المرض والصحة والفقر والغنى والنصب والراحة . بل كل ما يقتضى الشقاء والسعادة ويوجب الصلاح والفساد لابد وان يكون لارادة الانسان وحركاته الاختيارية فيه دخل تام . ويدركون ان الانسان ما دام على هذه السجية والغريزة فهو كمريض تنازعته امراض خطرة مختلفة لا ينجو منها الا بتمريض طبيب ماهر يعرف العلل والعلاج ويتفقده آناء الليل واطراف النهار فيهتمون حكمة وشفقة بتتبع أحوال الرعايا مثل ذلك الطبيب الماهر ولا يبرحون عن موازنة أعمالهم وافعالهم وحركاتهم ولا ينفكون عن مقايسة آرائهم واخلاقهم ولا يفترون عن تعديل ثروتهم وغنائهم وتقويم علومهم ومعارفهم وتجارتهم وزراعتهم واحصآء عددهم وتعداد احيائهم

واموالهم ولا يتوانون عن مقابلة الصادر والوارد فى ممالكهم والمعادلة بين قوة حكومتهم واقتدارها واقتدار الغير وقوته لكي يقتدروا على تدارك مصالح البلاد قبل تمكن الفساد ويقدروا على جبر الكسر وسد الثغر ورفو الخرق وازالة جراثيم الرزايا والمصائب وابادة اسباب الخلل والمصاعب واذا لم يمكنهم القيام باستقصاء دقائق التعديل والتقويم وجزئيات الموازنة والمقايسة مباشرة انتخبوا رجالا يقظين عارفين بأحوال الدول وقواها متبصرين بشؤون المالات واسباب سعادتها وشقآئها عالمين بفنون التجارة والزراعة والصناعة ولوازمها مهندسين محاسبين لأداء هذه المصالح وتسجيلها فى السجلات بغاية الدقة والاتقان وعرض كلياتها على هؤلآء الولاة الحكماء مع بيان موارد النقص والخلل وايضاح اسبابها . وغير خاف ان تسجيل المعادلات وحفظ الموازنات للدول ألزم من تقييد التاجر معاملاته فى دفاتره اليومية فانه لا يلزم من اهماله فى التقييد والتثبيت الا ان يضيع رأس ماله على جهل منه ويصبح مفلساً وهذا ضرر خاص به . وأما اهمال الدول فى حفظ المعاملات وتسجيل الموازنات فيوجب خراب البلاد وهلاك العباد ومن اجل هذا تجد للدول الغربية عناية تامة بهذا الشأن المسمى عندهم بالاستاتستيك

فهلك يا أيها الانسان الشرقيُّ صاحب الامر والنهى حكومة رحيمة حكيمة وعليك بها والقيام بشأنها وحفظ واجباتها والا فبحياتك التى افديتها براحة العالم ان تمفونا عن تحمل ثقل تشد قك بالرحمة والعدالة والحكمة والفطنة . اتريد ان تظلمنا ونكافئك بالشكر ؟ وتغصب حقوقنا ونجاريك بالثنآء ؟ او تظن انك تقدر ان تقرَّ كل العالم وتعمى بصائرهم ؟ وان تنزل

باطلك عندهم منزلة الحق ؟ وان تجلس جورك مجلس العدل ؟ وان تقيم سيئاتك مقام الحسنات ؟ وان تعد رذائلك مقعد الفضائل ؟ ولعلك اغتررت بتمجيد وتعظيم المبصبصين وتجيل المتزلفين أمامك

ولو كنت تعلم مقامك في النفوس . ومنزلتك لدى ارباب البصائر والعقول لودعت هذه الدنيا الملؤن التي ألمتك وفارقت حياتك العزيزة التي طالما افتديتها بالمروءة والانسانية

وأما انتم يا ابناء الشرق فلا اخاطبكم ولا اذكركم بواجباتكم فانكم قد ألفتم الذل والمسكنة والمعيشة الدنيئة واستبدلتم القوة بالتأسف والتلهف صرتم كالعجائز على تقدرون على الدرء والاقدام والجمع والمنع والرفع فانا لله وانا اليه راجعون :

اهـ نقلاً عن العدد ٣٣ من جريدة مصر التي صدرت في الاسكندرية في ٢٢ صفر سنة ١٢٩٦

الباب الثاني في مسائل التعليم

﴿ الباب الثاني (الولد) من كتاب اميل القرن التاسع عشر ﴾

(١٨) من ارامبم الى هيلانة في ١١ يونيه سنة — ١٨٥

قد يسأل سائل هل التفكر مما يتعلمه الطفل ؟ فاجيبه اني اعتقد ذلك غير انه ينبغي التميز التام بين ما يتلقاه عن غيره من الافكار وبين ما يستنتجه هو منها بنظره الى الاشياء . ونحن في تخاطبنا معه لا نفعل شيأ سوى